

رواية "سيرابا" لمحمد سعدون "تجاوز للمألوف واستكشاف لآليات تجريبية جديدة

The novel "seraba" by Mohamed Saadoun "transcends the familiar and explores new experimental mechanisms

الدكتورة: فتيحة حلوي¹Dr : Fatiha Halloui¹1 جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، fatiha.halloui@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/10/21

تاريخ الاستلام: 2023/12/15

الملخص:

يعدّ الروائي "محمد سعدون" من أهمّ المؤلفين الذين ذاع صيتهم في سماء الأدب الجزائري ، وذلك لما قدمه في الإبداع والإنتاج الفكري ، كما تعدّ تجربته الروائية من أهمّ التجارب السردية المعاصرة التي انفردت في تجسيد آليات وتقنيات تمزّدت بها على كل ما هو تقليدي وكسرت كل الأطر الجاهزة التي انصهرت فيها المتون السردية ، كما آمنت تجربته الإبداعية بتكريس كل ما هو جديد في قالب فني ووفقا للمسعى التحديثي المعاصر، ترمي هذه الورقة البحثية لاستتطاق الآليات التجريبية في رواية " سيرابا" لكتابتها " محمد سعدون" الذي أبحر في عالم اللامألوف وثار على كل ما هو معروف ، متجاوزا إياه بمعانقة الابتكار والإبداع والتميّز ، هذا ما سنحاول الكشف عنه وإبرازه من خلال تقديم هذه الدراسة التطبيقية للممارسة التجريبية السعدونية

كلمات مفتاحية: التجريب، الثورة على القديم، محمد سعدون، الممارسة التجريبية ، سيرابا.

Abstract

The novelist "Mohamed Saadoun" is one of the most important authors who have become famous of Algerian literature, because of his creativity and intellectual production. His novel experience is one of the most important contemporary narrative experiences, which is unique in embodying mechanisms and techniques that rebelled against all that is traditional and broke all the ready-made frameworks in which the narrative material fused, and his creative experience believed in dedicating everything new in an artistic mold and in accordance with the contemporary modernization endeavor. This research paper aims to explore the experimental mechanisms in the novel "seraba" by its author "Mohammed Saadoun", who sailed into the world of the unfamiliar and revolted against all that is known, bypassing it by embracing innovation, creativity and excellence. This is what we will try to reveal and highlight by presenting this applied study of the experimental practice of Saadoun

Keywords: Experimentation, revolution over the old., Mohamed Saadoun., Experimental practice, seraba.

1. مقدمة:

شهدت الرواية الجزائرية تطورا كبيرا منذ ظهورها إلى غاية الفترة المعاصرة ، فقد حدثت حذو الرواية العربية التي تبوّأت مكانة مرموقة ضمن الأجناس الأدبية وفنون التعبير الأخرى . ولعلّ من أهمّ الروائيين الجزائريين الذين ساهموا في اكتساح الرواية الجزائرية هذه المكانة المرموقة " محمد سعدون " الذي تعدّ تجربته من بين أبرز التجارب الروائية الجديدة التي جسّدت هذا التحوّل ، بتجاوزه لكلّ ما هو معروف ومألوف واعتماده على أساليب جديدة وآليات فنية مختلفة ، كما قدم على معانقة هذا التقدّم الحاصل في عالم الرواية وراهن على مبدأ الرواية الجزائرية في مسايرة كل ما هو مبتكر وجديد.

من هنا نحاول من خلال هذه الورقة البحثية طرح إشكالية للإجابة عنها " كيف جسّد "محمد سعدون " في روايته "سيرابا " آليات التجريب أو بعبارة أخرى ما هي جمالية التجريب في هذه الرواية ؟ . من خلال هذه الإشكالية الكبرى نحاول كذلك طرح العديد من التساؤلات ، ما هو التجريب ؟ وما هي أبرز الآليات التي وظّفها محمد سعدون في رواية "سيرابا " وما مفهوم الممارسة التجريبية عند الكاتب ؟ وهل استطاع فعلا توظيف مقاربة لآليات الابتكار والتجديد ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه . من بين أهمّ الأهداف التي نرمي لتحقيقها في هذه المداخلة : بسط مظاهر التجريب والحدّاث في الرواية الجديدة والتعرّف على أهمّ الآليات والتقنيات الفنية التي راوغ بها الروائيون الجزائريون في أعمالهم الأدبية .ضف إلى ذلك الوقوف على جمالية التجريب وملامسة أثره في رواية سيرابا ،ومن هنا رسمنا هيكلية لهذه الورقة البحثية جسّدناها في استعراض مجموعة من النقاط رأيناها خادمة للموضوع .

بداية عالجنا مفهوم التجريب في اللغة والاصطلاح ثمّ وقفنا على مدى توظيف هذه الآلية في المنجز الروائي وبالضبط في رواية " سيرابا " وصولا لحديثنا عن هذه الأخيرة وما تضمنته من جماليات فنية انفردت بها وختمنا البحث بخاتمة توصّلنا فيها لعرض أهمّ النتائج المتوصل إليها متوسمين أن تكون هذه الخلاصة بداية لآفاق فكرية وبحثية أخرى .

2. مفهوم التجريب قراءة في حدود المصطلح

أضحى التجريب في الآونة الأخيرة ، أحد أهمّ المصطلحات النقدية التي لاقت اهتماما كبيرا في الوسط النقدي وفي الدّرس الأدبي ، كما أصبح يشكل أحد المفاهيم المركزية في مسعى الفكر الحدّاثي ، فما هي ماهية التجريب لغة واصطلاحا ؟

1.2 الدلالة المعجمية للفظـة تجريب " إستقراء لبعض المعاجم " :

راج المدلول اللغوي لكلمة " تجريب" في المعاجم العربية والغربية على حدّ سواء ، لكن ما يجدر الإشارة إليه أنّ الدلالة المعجمية لهذه اللفظة في الساحة العربية حملت مفهوما غير بعيد المعنى في الثقافة الغربية . فمثلا نجد لفظة " التجريب " في المعجم الفرنسي " EXPÉRIMENTATION " بمعنى الاختبار الذي يسند إلى التجربة والملاحظة للتأكد من صحّة الفرضية" (null, 2010, p. 399)

وفي ذات السياق وردت الدلالة المعجمية لهذا المصطلح في معجم " اكسفورد "

EXPERIMENTATION «والتي تفيد كذلك معنى التجربة (Margaret Deuter, no year, p. 226p513) .

أمّا في الساحة العربية فقد تداول اللغويون هذا المصطلح وأفصحوا عن معناه اللغوي ، ف " التجريب" كلمة مشتقة من الفعل جَرَّبَ إذ جاء في "لسان العرب " لابن منظور قوله " جَرَّبَ ،يجرَّبُ تجربة وتجربيا : الشيء حاوله واختبره مرّة بعد أخرى ورجل مجرَّب قد عرف الأمور وجربها والمجرَّب : الذي جرب في الأمور و عرف ما عنده " . (منظور، الطبعة الأولى 1990، صفحة 261)

أمّا " الزمخشري" في " أساس البلاغة" فقال : " رجل مجرب ومجرب ، ذو تجارب ، قد جَرَّبَ وجَرَّبَ " (الزمخشري، الطبعة الأولى 1998، صفحة 129) وفي ذات السياق يقول صاحب " قاموس المحيط " للفيروز آبادي " جَرَّبَه تجربة اختبره ، ورجل مجرَّب كمعظم بلي ما كان عنده ،ومجرب الأمور ، ودارهم مجربة : موزونة " (أبادي، ط 01 ، 1997، صفحة 139) أمّا " المعجم الوسيط" فيقول : " جَرَّبَه تجريباً وتجربة اختبره مرّة بعد مرّة أخرى ، ويقال رجل مجرب : جَرَّبَ في الأمور ويقال رجل مجرب : عرف الأمور وجربها " (العربية، ط 01 ، 1972) .

انطلاقاً ممّا سبق ، نستشفّ من خلال تتبّعنا للمعجم الدلالي للفظـة "تجريب" أنّها تنحصر في ارتباطها بالتجربة الإنسانية ممّا جعل كذلك مفهومها ينصهر في الاختبار والخبرة والإفادة منها باكتساب الخبرة هذا من جهة ومن جهة أخرى أفضى بنا تأمل هذا الطرح اللغوي إلى تأكيد وحدة المفهوم في الساحة العربية والغربية على حدّ سواء .

2.2. التجريب اصطلاحاً: " قراءة في مسار التشكل "

يعدّ التجريب من المخلفات التي أفرزتها الحداثة ، وفي هذا المسعى ولد هذا المصطلح من رحم العلوم التجريبية المرتكزة على ثوابت الفيزياء ومنطق الرياضيات (عروس، 2012، صفحة 22) ، وبهذا تؤسس لبداية

استخدام هذا المصطلح في المجالات العلمية إذ عانق مصطلح " التجريبية نظرية التحول عند داروين" الذي وظّفه للدلالة على التحرّر من النظريات القديمة . كما استخدمه "كلود برنارد" في دراسة له حول " علم الطب التجريبي بالمعنى ذاته (تليما، 1983، صفحة 12) .

كما ذهب " مارتين إسلن" لارتباط التجريب بمجال العلوم الطبيعية يقول: " كلمة تجريب مأخوذة من الأساس من العلوم علوم الطبيعة وحينما يريد المرء أن يعثر على شيء جديد حينئذ عليه أن يجرب " (عائشة، 2005، صفحة 46).

إذا أردنا نقصّي ظهور مصطلح " التجريب" في الأعمال الأدبية فقد اتّفق جُلّ النقاد على أنّ أوّل من وظّف هذا المصطلح في الرواية على حدّ سواء هو الروائي الفرنسي "إميل زولا" في مدوّنته الروائية " الرواية التجريبية " وأوّل من استخدم التجريب في الرواية ،الروائي الفرنسي "إميل زولا" مع ملاحظة أنّ هذا الكاتب كان متأثراً بالعلوم ممّا جعله يعتمد في روايته على القواعد العلمية التي اقتبسها من أبحاث العلماء في عصره وقد أصدر إميل زولا أثناء حياته الأدبية بحثاً جماليا عنوانه الرواية التجريبية " (بوسف، ط 01، 2008، صفحة 75) .

وبهذا يمكننا أن نخلص القول في أن التجريب أخذ مفهوم الإبداع ويهدف إلى تجاوز كل ما هو قديم ليرسم أطره السياقية بتبني كل ما هو جديد ومبتكر ومختلف .

3. التجريب والرواية أية علاقة :

كيف تجسدت العلاقة بين مصطلح التجريب وجنس الرواية وما هو مفهوم التجريب في الأدب والرواية؟. يقول " صلاح فضل " في محاولة منه لتقديم مفهوم اصطلاحيا للتجريب "يتمثل ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير المختلفة ،فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف ويغمر في قالب المستقبل" (فضل، ط 01، 2005، صفحة 07) .

إذن التجريب هو الإتيان بآليات وتقنيات فنية جديدة توظف في العمل الإبداعي كما أخذ مفهومًا يمثل في "أفق كتابة يصدر عن هاجس التجديد الذي لا يتحقق إلاّ عبر التحرر من أسر السائد ممّا يجعله يمثل شكلا من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثروته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية" (شوشة، ط 01 ، 2003، صفحة 23) .

فالرواية التجريبية بهذا المعنى يمكن إختزال مفهومها حول قدرة الزاوي على خلق أدوات تفتح للقارئ المتلقي مجالات متعددة للتأويل فالرواية التجريبية إذن "هي رواية الحرية إذ تؤسس قوانينها الذاتية وتنتظر لسلطة الخيال وتتبني قانون التجاوز المستمر " (البارودي، دون طبعة، 2000، صفحة 257).

قدّم "مدحت أبو بكر " أربعة عشر تعريفا للتجريب، نذكرها على التوالي (أبوبكر، دون طبعة، 1993، صفحة 166) :

*التجريب هو التمرد على القوالب الثابتة .

*التجريب ذو علاقة وثيقة مع المجتمع .

*كلّ مسرحية تتضمن نوعا من التجريب

*التجريب ابتكار من خلال طرق وأساليب جديدة في التعبير الفني من أجل تجاوز المألوف

*التجريب تجاوز الركود.

*لا يوجد تعريف محدد بالتجريب .

*التجريب مرتبط بالخبرة في مجال المسرح .

*التجريب ثورة .

*التجريب مرتبط بتقنية العرض.

نخلص أن التجريب في الأدب يعني التجاوز والحرية والإبداع وكسر المألوف ، وتجاوز الطرح الكلاسيكي لمفهوم العمل الأدبي ، والإتيان بالجديد وابتكار قيم مختلفة ترفض الماضي وتستشرف المستقبل .

وفي هذا المسعى يمكننا أن نعرف الرواية الجديدة أو اصطلاح عليها الرواية التجريبية هي التي تمردت على أشكال الكتابة الكلاسيكية التقليدية ومن شأنها تخلق لنا عوالم كتابية جديدة ، وبالتالي يمكن أن نلخص هذا التمرد في نمطين الأول يختص بعملية الكتابة نفسها ، أما الثاني فهو المتعلق بالواقع الاجتماعي الناتج عن الحياة المعاصرة (نجا، 2021) .

1.3. محمد سعدون بين تحولات الممارسة الروائية والنزعة التجريبية :

نبذة عن المؤلف " محمد سعدون " :

محمد سعدون ناقد ومفكر وأديب جزائري ولد بسيدي خالد ولاية بسكرة عام 1954 م ترعرع بمسقط رأسه وزاول دراسته بها ، ثم تنقل إلى ولاية باتنة في الشرق الجزائري حيث أكمل تعليمه في الطورين المتوسط والثانوي والجامعي وتوج مساره الدراسي بنيله لشهادة الليسانس "البكالوريوس" في الأدب العربي وكان ذلك سنة 1984 م ، عمل أستاذا في التعليم الثانوي ، ثم أستاذا في جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر .

عرف "محمد سعدون " بحسه النقدي واطلاعه على الأديان وغوصه العميق في المذاهب الفكرية ، كما يعدّ من أهمّ المفكرين الذين نادوا بضرورة استحضار الحداثة في المنجز الروائي الجزائري .

قدم " محمد سعدون " عدة أعمال أدبية وله العديد من المقالات النقدية ومن أهم المناصب التي تقلدها عضو إتحاد الكتّاب الجزائريين ، كما دافع صيته في مجال الترجمة حيث اشتغل على التضلع بالعلوم الغربية وترجمتها للغة العربية وبهذا نقول يشكل "محمد سعدون " علامة فارقة وتجربة انفرادية ، استطاع أن يرسم حروفها من ذهب في مسيرة الأدب الجزائري.

من أهم المؤلفات التي نشرها :

طقوس الشعرية المعاصرة أصولها وأبعادها المعرفية ، مختارات من الشعر الفرنسي وهو كتاب قام بترجمته من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، الإستراتيجية الشعرية عند " بدر شاعر السياب " ، المختصر في منهجية البحث الأدبي ، ظل حارس ديوان " محمد ديب " وهو كتاب مترجم كذلك ، جمالية التلقي موازنة بين قراءات النقاد في شعر "بدر شاعر السياب" ، ورواية "سيرابا" وهي موضوع دراستنا .

2.3. التصور العام للرواية " سيرابا " :

صدرت رواية "سيرابا" في حدود مئة وأربعة وثلاثين صفحة ،ويمكننا اختزال الفكرة التي وثقتها صفحات الرواية في أنها تصور ما يطلق عليه الصراع الحضاري بين الحضارات فقد خصصها الكاتب "محمد سعدون" في الحضارة الإسلامية والأوروبية والإفريقية في قالب يجمع بين العجائبية والغرائبية والسخرية ، كما انفتح على مذاهب مختلفة كالرمزية والرومانسية والصوفية والسريرية .

بطل القصة شاب جزائري عرف بعلمه وثقافته هاجر إلى السنغال ، واستقر في العاصمة دكار بالضبط إبان العشرينية السوداء التي عاشتها الجزائر ، هذا الشاب عاش الغربة والإغتراب وهوس الحب من امرأة عرفت بجمالها الخلّاب وأثوتها الخارقة ، كما صوّر لنا واقع المجتمع السنغالي بلغة شاعرية وأسلوب متمرد على كل ما هو تقليدي ، ليوقف عند انحراف هذا الشاب ووقوعه في متاهات الغواية ، في أحداث متنامية وصراع دائم مع ذاته و مع شخصيات الرواية ليختتم روايته بالوهم واللاجدوى تحت تأثير سيرابا كما ورد على لسان الكاتب.

4. الممارسة التجريبية في رواية "سيرابا" مقارنة لآليات الابتكار والتجديد:

إنّ المتتبع لمسار التجربة الإبداعية عند "محمد سعدون" يتضح له جليا مدى إطلاعه على الروافد الفكرية على اختلاف مشاربها دون أن يغفل على معانقته لفنيات التجريب، وذلك من خلال توظيفه لآليات جنح لها لخلق نص مختلف له مقوماته ينصهر في تبني كل ما هو مبتكر وترك كل ما هو معروف ومألوف عند القارئ أو المتلقي.

في هذه الجزئية نحاول أن ننطلق من مقارنة تجريبية، إيماناً منا أن التجريب هو التجديد والنزوح نحو خلق نص جديد يجنح الروائي فيه للعمل على نضج واكتمال المنجز الروائي .

تعد رواية "سيرابا" كسر لما هو مألوف ونبذ للممارسة الروائية التقليدية، وتمرد على آليات وتقنيات فنية قديمة مألوفة ولعلّ من أهم الأدوات التي راوغ بها الكاتب "محمد سعدون" توظيفه للتراث اللامادي والمادي، خرق الثالوث المقدس المتمثل في الدين السياسة والجنس، تعدد اللغات في نصّه ، انفتاح النصّ الروائي على أجناس أدبية أخرى ، توظيف التناسل الديني ، وغيرها من مظاهر التجريب التي لا مس بها البنية السردية واستخدامه لتقنية التشطي، الرمز، وطرق أبواب السريالية والتصوف وغيرها من الآليات التي دلّت على تجربة "محمد سعدون" الإبداعية في تجديدها وتمردها على سلطة النموذج الروائي التقليدي ، سنحاول في هذه الورقة البحثية الوقوف عند أهم مظاهر التجريب في رواية "سيرابا" ، محاولين المزج بين مفاهيم نظرية ومشاهد روائية جسدها "محمد سعدون" في منجزه الروائي .

4. 1 توظيف التراث:

من أهم الأدوات الفنية التي ساهمت في تطوير الرواية العربية استدعاء التراث وإعادة توظيفه بطريقة جديدة مختلفة لما كان سائداً وموجوداً ، وعلى هذا الأساس نجد أن "محمد سعدون" اقتفى نهج الروائيون العرب وعمد على توظيف التراث والتمسك به على اختلاف أنواعه ، وفي هذا المسعى يجدر بنا لفت إنتباه القارئ أن الرجوع لهذه الآلية ليس الغرض منها الإنغلاق على الذات بل استخدام التراث جاء لنقد الحاضر من خلال الماضي ، ومحاولة فهم الأبعاد التي يرمي لها .

أي ليس من أجل الإنغلاق على الذات وتقديس الأجداد وتمجيد الماضي والحنين الرومنسي بل إعادة لمساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة (وتار ، دون طبعة ، 2002، صفحة 10) .

من أهم المشاهد التي وظفها "محمد سعدون" في استدعاء التراث المادي قوله "واستمتعت في ذلك اليوم بلعبة "السيمبي" في أحد الأحياء الشعبية ، وهي لعبة توارثتها الأجيال ويقوم بدور هذه اللعبة شاب قوي البنية مفتول العضلات يؤدي حركات بهلوانية ويضع تباها قصيرا أحمر ويطلّي وجهه وأطرافه وسائر أجزاء جسمه بألوان مختلفة من الطلاء ويهرول في عرض الشارع وطوله محاولا القبض على من يقع عليه اختياره من الحشود البشرية التي تهرع وراءه وتتدافع حوله، وترقص مصفقة له وتقر من أمامه خوفا من صولاته وجولاته المربعة ، فإذا أمسك

بأحدهم طرحه أرضا وعفره في التراب، ولا يخلي سبيله إلا إذا دفع له شيئا من النقود (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 06).

في هذا المقطع وظف الكاتب أحد معالم التراث المادي المعروفة والمنتشرة في المجتمع الشعبي السنغالي ، ووضح من هذا المشهد أن هذه اللعبة التراثية لها شعبية وقبولا في الأوساط السنغالية.

4. 1. 1 الأغنية الشعبية:

واحدة من أشكال التعبير الشعبي التي تعبر به الجماعة الشعبية عن نفسها ، وتطرح من خلالها أفكارها وآمالها ومعتقداتها وقيمها ، فهي تعبير مباشر عن وجدان وفكر الجماعة الشعبية تحمل بين طياتها قيمها ومعتقداتها وأمانيتها (حسين، ط 01 ، 2001، صفحة 114).

ومن الأغاني التي استحضرتها الكاتب وذلك وفقا لما يخدم النص المشهد الذي تحدث فيه عن "كوليت" صاحبة الصوت الندي كما ورد على لسان الكاتب إذ تقول "كلمات الأغنية (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 08) :

هذا المساء القمر فيه جميل

على منخفضات الدروب

حيث العشب الجديد

الربيع ليس بعيدا

هيا هيا يا قطيعي

هيا هيا سوف نصل عن قريب

أسهب "محمد سعدون" في توظيف التراث خاصة في الصفحات الأولى حيث عمد إلى وصف الأحياء الشعبية والأسواق إذ يقول " قادتني قدامي إلى السوق الشعبية التي يعلو فيها عجيح العامة" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 10).

كما حاول أن يقرب لنا مفهوم المدينة السنغالية وأسهب في وصف كل الأماكن التي زارها، مما جعل القارئ يتصور ما أحاط به الكاتب وكأنه قدم لنا صورة فتوغرافية عن المجتمع الشعبي السنغالي، ولعل السبب الرئيسي في إسهاب الكاتب في الوصف هو تعريف القارئ بالثقافة الإفريقية على حد سواء خاصة وأن العالم اليوم يسير إلى تجسيد ما يطلق عليه حوار الحضارات أو حوار الثقافات.

4 . 2 خرق الثالث المقدس أو خرق المحظور " الدين السياسة الجنس ":

يشهد خلق المحظور أو كسر الطابوهات حظورا متميزا عند الكاتب "محمد سعدون" كما عرف توظيف هذه الآلية نضجا موضوعيا وفنيا وقد مثلت رواية "سيرابا" هذا الملمح التجريبي وشغلت مساحة في المشهد الروائي وقد تعرض لها الكاتب بلغة تقريرية مباشرة غير تلميحية ولكن قد توصله هذه الحرية إلى تجاوز الحدود والخطوط الحمراء التي تتعارض مع التقاليد والأعراف الاجتماعية والدينية بغرض تقديم إبداع جديد (نجاه، 2021).

4 . 2 . 1 - خرق الدين :

المحظور الديني يعرف في الرواية المساس بقداصة الدين ، وكل ما يمت له بصلة من قريب أو من بعيد ، بمعنى أنه الأمور التي لا يجب التحدث فيها تصريحاً أو تلميحاً أو إعلان ممارستها أو القيام بانتهاكها (صياد، 2018، صفحة 219)، تمثل خرق الدين في هذا الملمح في استباح شرب الخمر الذي يعد من المحرمات في ديننا الإسلامي ، وقد جسد هذه الظاهرة "عمر لاي" المعروف قبل انتقاله للعيش إلى إيطاليا بروحه الدينية وشخصيته المتدينة إذ يقول وصلنا إلى الحانة وشرب "عمر لاي" أقداحا من الخمر ودبت في شرايينه نشوة السكر .

وفي ملمح روائي آخر كسر الكاتب طابوها دينيا آخر وهو استفحال فاحشة الزنا بين ذوات الرواية ، ومنها علاقة "سيرابا" بأستاذها الفرنسي وهي لازالت في ذمة زوجها "عمر لاي" وعلاقة الشاب البطل مع "سيرابا" في ليلة غاب فيها زوجها ، انحراف الشاب الجزائري وقيامه بعدة علاقات مع شخوص أنثوية أخرى ، وهنا يقول الكاتب كانت سيرابا ترتدي شملة بيضاء تشف عن أذائها وعن أجزاء مثيرة من جسمها الممتلئ أحسست أن "سيرابا" تتقدم مني تفتح عن صدرها وتميل علي بالقبلات وتضمني إليها ضما قويا وهي ثائرة كاللبوة " (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 47و48) .

اختراق المحظور الديني جاء جليا وبلغة واضحة ومباشرة دون هوادة وبالتالي يعد هذا من فنيات التجريب التي وظفها الكاتب .

تجلى المحظور الديني كذلك في تدنيس المقدس وفي هذا المسعى رسم الكاتب صورة عن عدم احترام الأماكن المقدسة.

والمحافظة على خصوصيته لما يحمل هذا الحيز من قداسة ، وتجلى هذا في الملمح الروائي الذي يسرد لنا فيه الكاتب حديثه عن الزاوية إذ يقول " وإثر الإنتهاء من الصلاة انقسم الأتباع جماعات وفرادى فجلس بعضهم في قاعة الإستقبال الكبيرة ، وجلس بعضهم أمام بوابة الزاوية والتقيت مع أخ "تيام" وهو من أتباع الزاوية تجرأت وسألته قائلاً : أما تفتتون بهؤلاء النساء اللواتي يظهرن شبه عاريات بنهودهن وكشوحهن من خلال

اللباس " (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 84و85) هنا بين الكاتب تجاوز قدسية المكان وعدم المبالاة بحرمه الزاوية التي تعد منبر للصلاة والذكر والخوف والروع.

4. 2. 2 - خرق السياسة :

اهتم الكاتب "محمد سعدون" بطرق باب السياسة والإفصاح عن فترة عصيبة مرت بها الجزائر "العشرية السوداء"، ومثل هذا الإجراء يعد جرأة من الكاتب إذ كانت السياسة من الطابوهات التي لا يمكن ملامسة كيائها . في رواية "سيرابا" نجد هنا البعد السياسي الذي انصهر حول تجسيد واقع الجزائر في سنوات الدماء وما استوقفنا في هذا الملمح التجريبي هو إسهاب الكاتب في سرد وقائعه بأسلوب صريح ومباشر إذ يقول "فأوقفتنا جماعة من العناصر الإرهابية في منطقة "ولتام" القريبة من مدينة بوسعادة " (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 61).

كان أحد الإرهابيين يأخذ على الترتيب الركاب المنبطحين أرضا ذبح إثنان قبلي وكنت الثالث" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 62) "وأوماً الإرهابي إلى صاحبه أن يخلي سبيلي" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 62)، وغيرها من المشاهد التي لا يتسع المقام لسردها .

4. 2. 3 - خرق الجنس :

يعد موضوع الجنس من المواضيع المحظورة في مجتمعنا الإسلامي، وذلك لشدة ارتباطه بقضايا الأخلاق غير أن الكاتب "محمد سعدون" عمد على كسر هذا المألوف وراح يخاطب اللامألوف، فقد استأثر الجنس جل الروائيين ووظفوه في العديد من كتاباتهم.

يظهر هذا الملمح التجريبي جليا واضحا في رواية "سيرابا" كقوله " مثلا وعدت "أمنيّا" بدفع ثمن التذكرة مشترطا عليها الجلوس في آخر القاعة لأقبلها وأداعب نهديها الكبيرين" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 66)، ويسرد لنا مشهدا آخر في قوله " جلست مع "أمنيّا" على مقعدين خلفين فنلت منها ما كنت أصبوا إليه استمتعت بنهديها الكبيرين وارتويت من لماها العسلي الذي طالما اشتهيته" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 63) .

وبهذا يمكن القول أن الروائي "محمد سعدون" وغيره من الروائيين جنحوا لتوظيف الجنس من أجل إثارة قريحة القارئ وإضفاء نوع من التشويق وجذب انتباه المتلقي.

4. 3. - التعدد اللغوي :

أو ما يطلق عليه مستويات اللغة، نجد في رواية "سيرابا" تنوعا لغويا يعكس التنوع الثقافي الذي عاشه الكاتب "محمد سعدون" حيث مزج في تعابيره بين لغات مختلفة، استخدامه للغة العربية الفصحى واللغة الأجنبية

فتوظيفه للغة العربية الفصحى المرتبطة بالأحاسيس جاء في العديد من المشاهد "أشعر بأن روحي قد عبرت إلى كون آخر مختلف تتعدم فيه الأشياء والأجسام وقوانين المادة تعروه أمواج غيوم" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 115) .

عند تتبع مسار الرواية نلاحظ أن الكاتب "محمد سعدون" يتمتع بمقدرة هائلة على الكتابة بأسلوب جمالي راقي مميز يشد القارئ .

4. 3. 1 اللغة الفرنسية:

وردت العديد من المصطلحات باللغة الفرنسية منها على سبيل المثال لا الحصر : موسكي ، فرانسواز ، وغيرها إلى جانب توظيفه للغة الألويفية كاستخدامه "ديكا ديكا" (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 75) ويعني بها "المسجد" ،وخولي مولي وغيرها (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 20).

4. 4. 4 الإنفتاح على الأجناس الأدبية الأخرى :

وتجسد في انفتاح جنس الرواية على أجناس أدبية أخرى نأخذ على سبيل المثال لا الحصر توظيف الكاتب "محمد سعدون" لفن الشعر الصوفي إذ يقول في أحد المقاطع (سعدون، ط 01 ، 2019، صفحة 92و93) :

غرس الزهد بقلبي شجرة	بعد أن نقى بجهدى حجره
وسقاها إثر ما أودعها	كبد الأرض بدمع فجره
نمت في ظل ظليل تحتها	روح القلب ونحى ضجره

من خلال هذه الأبيات يتبين لنا مدى تطلع الكاتب بالثقافة الصوفية، وذلك من خلال حفظه لها وعمله على تفكيك رموزها.

4. 5. 4 -التشظي :

كما يمكن أن نطلق عليه "التفكك" هذه الآلية أو التقنية باتت توظف كثيرا في الرواية المعاصرة ويقصد بهذا التكتيك، "اهتزاز الشكل الواقعي الكلاسيكي المعتمد على سرد خطي والتزام منظور أحادي وطموح إلى القبض على الواقع في تجلياته التفصيلية ومنطقه المرئي" (برادة، دون طبعة ،دون تاريخ، صفحة 51)، وبهذا يمكن اختزال مفهوم هذا المصطلح في استطراد الروائي وبعده عن الموضوع الرئيس في دعوة منه لإعادة تحليل النص .

في رواية "سيرابا" وجدنا هذا الملمح التجريبي، في قراءتنا لمسار الرواية ويتجلى هذا في توقف الروائي عن سرد الأحداث في السنغال، وانتقاله للقارئ لرسم أحداث أخرى تتعلق بالعشرية السوداء ،ويوجد الكثير من المشاهد التي حاولت أن تخلق تشظي زمني مختلط بين الماضي والحاضر، إلى جانب هذه الآليات وظف "محمد سعدون"

العديد من الآليات التي حاول من خلالها كسر القديم والمألوف بغية تحقيق عملية الخلق والإبداع ونذكر منها بإختصار شديد .

توظيفه للصراع الحضاري بين الشمال والجنوب استخدامه " للتناص " على اختلاف أشكاله توظيفه للتجريب على مستوى البنية السردية استحضاره للتاريخ ،توظيفه لحوار الأديان ورسم هذا المشهد في عرضه للدين الإسلامي والمسيحي ،مفهوم التحرر وارتباطه بالمرأة.

5. خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية خلصنا لمجموعة من النتائج وهي كالآتي :
حققت الرواية الجزائرية بنية سردية حدثية استلهمت من النزعة التجريبية وتعد تجربة "محمد سعدون" في رواية "سيرابا" خير مثال على ذلك.

سعى "محمد سعدون" في روايته "سيرابا" إلى تجسيد أشكال وآليات فنية وتقنيات جديدة في الكتابة.
عمد "محمد سعدون" في منجزه الروائي "سيرابا" إلى كسر قالب النموذج السائد المألوف وجنح إلى توظيف واستحضار اللامألوف، وذلك بغية منه في خلق نص إبداعي جديد
إن عملية التجريب والحدث تعرف بأنها رؤية إبداعية تؤتي ثمارها من خلال تدمير سلطة النموذج القديم وارتياح المعاصرة.

تمكن الروائي "محمد سعدون" من توظيف آليات التجريب والحدث ،وذلك من خلا تمرده على الأساليب القديمة كما جسد هذا التصور في خرقه للثالوث المقدس (الدين واللغة والسياسة).

يتأسس التجريب في حقل الإبداع على ثنائية البناء والهدم .

يعد الروائي "محمد سعدون" من أهم الروائيين التجريبيين الذين عمدوا إلى خلخلة البنية السردية متجاوزا هذا الطرح في توظيفه لتداخل الأزمنة وتنوع الأمكنة .

ومن بين أهم التوصيات التي نوردتها في هذا المقام:

- لفت انتباه الطلبة والباحثون لدراسة الأدب الجزائري .

- العمل على كشف جماليات الأدب الجزائري من خلال ملامسة الأعمال الروائية المعاصرة

6. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1. ابن منظور. (الطبعة الأولى 1990). لسان العرب مادة (جرب) الجزء الأول. بيروت، لبنان: دار صادر.
2. الزمخشري. (الطبعة الأولى 1998). أساس البلاغة الجزء الأول تحقيق محمد باسل عيون السود. لبنان: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب المعرفية.
3. الفيروز آبادي. (ط 01 ، 1997). القموس المحيط مادة جرب ، أعداد عبد الرحمان المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
4. بن جمعة بو شوشة. (ط 01 ، 2003). التجريب ارتجالات السرد الروائي المغربي. تونس: المغاربية للطباعة والنشر.
5. حسين نجاة. (04 01 ، 2021). التجريب في النص الروائي الجزائري. تاريخ الاسترداد 10 08 ، 2022، من www.aqlamalhind.com.
6. شوقي بدر يوسف. (ط 01 ، 2008). غواية الرواية - دراسات في الرواية العربية. الإسكندرية ، مصر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.
7. صلاح فضل. (ط 01 ، 2005). لذة التجريب الروائي. القاهرة ، مصر: دار النشر أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.
8. عبد المنعم تليما. (1983). مقدمة في نظرية الأدب. بيروت: دار العودة.
9. كمال الدين محمد حسين. (ط 01 ، 2001). دراسات في الأدب الشعبي. مصر: مطبعة العمرانية الجيزة.
10. مارتين اسلن عن ليلي بن عائشة. (2005). التجريب في مسرح السيد حافظ. مصر: مركز الحضارة العربية.
11. مجمع اللغة العربية. (ط 01 ، 1972). المعجم الوسيط ، باب الجيم. مصر: دون ذكر دار نشر.
12. محمد البارودي. (دون طبعة، 2000). انشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
13. محمد برادة. (دون طبعة ، دون تاريخ). الرواية العربية ورهان التجديد. إمارات: دار الصدى.

14. محمد رياض وتار. (دون طبعة، 2002). *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
15. محمد سعدون. (ط 01، 2019). *سيرابا*. الجزائر، برج بوعرييج: خيال للنشر والترجمة.
16. محمد عروس. (2012). *التجريب في الشعر الجزائري المعاصر*. الجزائر: دار المعية للنشر.
17. مدحت أبوبكر. (دون طبعة، 1993). *التجريب المسرحي آراء نظرية وعروض تطبيقية*. القاهرة، مصر: وزارة الثقافة.
18. مليكة صياد. (2018). *المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة - أمين الزاوي - وآسيا جبار أنموذجا. أطروحة دكتوراه*. الجزائر، كلية الأدب، الجزائر: جامعة الجزائر.

باللغة الأجنبية:

1. Margaret Deuter, J. B. (no year). *Oxford Advanced Learner's Dictionary*.
Oxford: Ninth Edition Oxford université presse.
2. null, L. (2010). *Le Petit Larousse Illustré - Edition 2010 Anniversaire De La Semeuse 1890 - 2010 de Larousse null Format Relié*. paris: Larousse.